المحاضرة الرابعة: النقد الأسلوبي

- **مفهوم الأسلوبيّة:**

يعرّفها (**ميشال ريفاتير**) بأنّها: "العلم الذي يُعنى بدراسة الآثار الأدبيّة دراسة موضوعيّة، وهي لذلك تُعنى بالبحث عن الأسس القارّة في إرساء علم الأسلوب، وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصّا (دراسة النص الأدبي في ذاته ولذاته)".

وقد تأسّست الأسلوبية على يد (**شارل بالي**) من خلال كتابيه: محاولات في الأسلوبية الفرنسية 1902، وكتاب المجمل في الأسلوبيات 1905.

- **مفهوم الأسلوب:** يعرفه (**ميشال ريفاتير**) بقوله: "الأسلوب هو كلّ شكل دائم عبّر به صاحبه عن مقاصد أدبيّة"، وعرّفه (**بيفون**) بقوله: "الأسلوب هو الإنسان نفسه"، كما عرّفه (**بيير جيرو**) بقوله: "الأسلوب هو وجه للملفوظ، ينتج عن اختيار أدوات التعبير، وتحدّده طبيعة المتكلّم أو الكاتب ومقاصده".

أمّا (**أحمد الشايب**) فقد عرفه بقوله: "هو الوسيلة اللازمة لنقل أو إظهار ما في نفس الأديب".

لخّص (**عبد السلام المسدي**) في كتابه: **الأسلوب والأسلوبية**، مفهوم الأسلوب من جهة: المخاطِب (المرسِل)/ المخاطَب (المرسل إليه)/ الخطاب (الرسالة)، فالأسلوب من جهة المخاطِب: اختيار وتركيب، ومن جهة المخاطَب: العنصر المبرز، ومن جهة الخطاب: الانزياح، يقول (**المسدّي**): "إنّ أيّ فكرة من الأفكار يمكن إبلاغها بأشكال وكيفيات متنوّعة، معنى ذلك أنّ؛ نفس الشحنة الإخباريّة يمكن سبكها في صياغة لسانيّة متعدّدة"، ويقول كذلك: "تكاد جلّ التيارات التي تعتمد الخطاب أسّا تعريفيّا للأسلوب تنصبّ في مقياس تنظيريّ هو بمثابة العامل المشترك الموحّد بينها ويتمثّل في مفهوم الانزياح"[1]

- **اتّجاهات الأسلوبيّة:**

1.الأسلوبيّة التعبيريّة:

يرى (**شارل بالي**) أنّ الذي يميّز أيّ عملية تواصل هو الطابع الوجداني، وهو يدعو (**بالي**) إلى البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام من العلامات اللغوية والبحث في محتواها التعبيري والتأثيري، ومنه فموضوع علم الأسلوب هو دراسة المسالك والعلامات اللغوية التي يستخدمها الأديب لإحداث الانفعال لدى المتلقي، فعلم الأسلوب، من وجهة نظر (**بالي**)، ينبسط على رقعة اللغة كلّها، فالظواهر اللغوية جميعها، ابتداء من الأصوات حتى أبنية الجمل الأكثر تركيبا، يمكن أن تكشف عن خاصيّة أساسيّة في اللغة المدروسة والوقائع اللغوية بشتى أصنافها، يمكن أن تشفّ عن لمحة من حياة الفكر أو نبضة من الحساسيّة، إنّ علم الأسلوب لا يدرس قسما من اللغة بل اللغة بأكملها منظورا إليها من زاوية خاصّة".

[1] . عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية ص 97.

وقد كان (**شارل بالي**) يربط الأسلوبية بدراسة القيمة العاطفيّة للوقائع اللغويّة المتميّزة، والعمل المتبادل للوقائع التعبيريّة، وهناك قيما تعبيريّة لاواعية في النظام، وهناك قيم تأثريّة واعية تنتج عن قصد، كما ينبّه (**بالي**) على إمكانية التعبير عن موقف واحد بعبارات مختلفة مثل عبارات المدح: (عمل جيّد، أحسنت عملا، أنت الأفضل...) فهي تعبّر عن فكرة واحدة لكنّها تختلف من حيث الشحنة العاطفيّة، لذلك يجب البحث عن المضمون العاطفي والانفعالي لهذه العبارات دون إغفال الوجه الاجتماعي للغة.

2.الأسلوبيّة النفسيّة:

يعدّ (**ليوسبيتزر**) أهمّ مؤسّس للأسلوبية النفسيّة، وإليه تشير أغلب الدراسات العربيّة والغربيّة في هذا الاتجاه، وقد درس (**سبيتزر**) وقائع الكلام وحلّل الانحراف الفردي والأسلوب الخاص الذي ينمّ عن شخصيّة الكاتب، كما اهتمّ بدراسة (الصيغ المعبرة) التي ضمّنها الأدباء لغتهم الخاصة، وبحث في المفردات الجديدة وفي مسألة الافراط في استعمال بعض المفردات، وفي كيفيّة التأليف وتشكيل عالم خيالي انطلاقا من عناصر الواقع، كما درس الأدب انطلاقا من مادّته اللفظيّة.

حاول (**سبيتزر**) إدراك الواقع النفسي وتحديد الروح الجماعيّة وكان يلتمس النصوص للاطلاع على خصائص نوعيّة تسوقه إلى قرارة نفس المؤلف، لذلك كان تحليله للأسلوب كفيل باستقراء نفس المؤلف، وكان تحليله للأثر الأدبي بوصفه تعبيرا عن فعالية نفسية تحكّمت به وقامت بصنعه.

وكانت الأسلوبية النفسية وسيلة (**سبيتزر**) للتعامل مع النص الأدبي، فهي تملك إمكانيّة رسم الملامح النفسيّة للشخص الكاتب المتكلّم، ويقصد (**سبيتزر**) بالمتكلّم: الكاتب المفكّر والمتأمّل الحالم، كما عدّت الخطاب الأدبي بنية مغلقة تخضع لترابط منطقي وعلى دارس الأسلوب أن يسعى لاكتشاف البنية الثقافية والجمالية للنص انطلاقا من تحديد مختلف الحقول الدلالية التي تميّز الخطاب الأدبي، وتحديد الكلمات المفاتيح التي تساهم في مقاربة الخطاب الأدبي، وقد استعان (**سبيتزر**) بعلم الدلالة التاريخي لتتبّع التطوّر الدلالي للكلمة.

3.الأسلوبيّة البينويّة:

تُعنى الأسلوبيّة البينويّة بدراسة علاقات الوحدات اللغويّة المكوّنة للنصّ، وهي ذات بعد لساني قائم على علم المعاني والصرف وعلم التراكيب، ويعدّ (**رومان جاكبسون**) و(**ميشال ريفاتير**) من أبرز رواد هذا الاتجاه.

والقراءة الأسلوبيّة حسب (**ريفاتير**) قائمة على مرحلتين:

- **مرحلة الوصف**: ويطلق عليها (**ريفاتير**) مرحلة اكتشاف الظواهر وتحديدها، وهي تسمح للقارئ بإدراك وجوه الاختلاف بين بنية النص والبنية النموذج (مقام المرجع)، فيدرك التجاوزات والمجازات وصنوف الصياغة.
- **مرحلة التأويل والتعبير**: وعندها يتمكن القارئ من الغوص في النص، وتحديد الموجودات الموضوعية فيه، وهي مرحلة يكون البحث فيها عن بنية الدلالة التي لا يختلف حولها التأويل.

تسعى الأسلوبية البينوية إلى تحديد النص من خلال العلاقات الموجودة بين مستويات الأسلوب فيه، كما تبحث فيه عن انسجامه مع نفسه، وتبحث في وحداته وجماليات مكوناته، وتبرز غنى دلالاته من خلال تظافر أساليبه، فالنص الأدبي نظام لغوي يعبّر عن ذاته.

4.الأسلوبيّة الإحصائيّة:

يُعدّ الإحصاء الرياضي في التحليل الأسلوبي محاولة موضوعيّة ماديّة في وصف الأسلوب، ويُعدّ **(فول فوكس)** زعيم هذا الاتجاه، حيث يقول: نقيّم الأسلوب كما يأتي في نطاق المجال الرياضي بتحديده من خلال مجموع المعطيات التي يمكن حصرها كنيّا في التركيب الشكلي للنص.

أحصى **(فوكس)** في مجموعة من النصوص متوسّط عدد الكلمات في كلّ جملة ومتوسّط عدد المقاطع في كلّ كلمة، ويتمّ وضع متوسّط المقاطع في كلّ كلمة بناء على ذلك في أعلى الشكل، ومتوسّط عدد الكلمات في كلّ جملة في يمين الشكل، ممّا يمكّن من وضع كلّ نص في رسم بيانيّ على النقطة المحدّدة لخواصه، أمّا بعض الدراسات فقد قامت بإحصاء نسبة الأفعال إلى الصفات من حيث العدد كما قامت بقياس معدّلات الأفعال بالنسبة لعدد كلمات الجمل.

يسعى التحليل الإحصائي للأسلوب إلى تمييز السمات اللغوية فيه وذلك بإظهار معدّلات تكرارها، ولهذه الطريقة أهميّة بالغة في تشخيص الاستخدام اللغوي عند المبدع.

يرى **(أولمان)** أنّ التحليل الأسلوبي الإحصائي يقوم على مراعاة مبدأين:

- التحديد الكمّي ورصد جميع الوسائل الأسلوبيّة المتمثّلة في النص الأدبي وحصرها وتصنيفها ثمّ تقييمها وإبراز الدلالات المرتكزة عليها.
- تفسير هذه الوسائل الأسلوبيّة واستحضار جذورها الذاتيّة والموضوعيّة.

يقول **(سعد مصلوح)** عن الأسلوبيّة الإحصائيّة: إنّ التشخيص الأسلوبي الإحصائي يمكن اللجوء إليه، حيث يُراد الوصول إلى مؤشّرات موضوعيّة في فحص لغة النصوص الأدبيّة وتشخيص أساليب المنشئين، وهذه المؤشرات والمقاييس الموضوعيّة، في ظنّنا، وسيلة منهجيّة منضبطة يمكن بها استنفاذ الدرس الأدبي من ضباب العموم... وهذه الوسائل المنضبطة في الدرس العلمي ليست بديلا للذوق، وإن كانت محاولة لعقلنة الذوق.